مجلة العلوم السياسيّة

اسم المقال: تأثير تكوين الشخصية على السلوك السياسي
اسم الكاتب: أ.د. صادق الاسود
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/124
تاريخ الاسترداد: 2026/11/01 06:03 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة العلوم السياسيّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

تأثير تكوين الشخصية على السلوك السياسي[*]

أ.د. صادق الأسود

كلية العلوم السياسية/ جامعة بغداد

أهمية دراسة تكوين الشخصية في السياسة:

إن علم النفس بصورة عامة هو الدراسة العلمية للسلوك وعندما يعالج السلوك الإنساني غالبا ما يدعى الموضوع بـ(الشخصية)[1]، وتساعدنا مراقبة السلوك السياسي للأفراد على نطاق واسع، كالانضمام إلى الأحزاب، أو التصويت في الانتخابات، أو أية نشاطات سياسية أخرى على إدراك حقيقة أن للاختلاف في شخصية الأفراد أثرا كبيرا في تباين سلوكهم السياسي، علما بأن طبيعة السلوك المذكور لا تتوقف على العوامل الشخصية فقط، وانما تتوقف أيضا على العوامل الاجتماعية والثقافية التي تتحكم هي أيضا بدورها في التوجه السياسي للشخص. و"الشخصية" هي عامل مهم، بل وحاسم، في ميدان الخيارات السياسية الأساسية، وذلك على ضوء رؤيتها للأشياء والأحداث، وبناها الخاصة بها، وهي التي تصوغ وتعين اتجاهاتنا السياسية، أي وضعنا في المجتمع والمواقف التي نتخذها واهتمامنا بالسياسة أو عدم اكتراثنا بها، وكذلك انتماءاتنا الحزبية، ونهجنا العقائدي أو طريقتنا في التفكير والتعامل مع الآخرين، وهي التي تجعلنا نندمج بدرجات متباينة من النجاح من فرد إلى آخر حسب الحركات السياسية، وفضلا عن ذلك فإن الشخصية هي الأساس الذي تنشأ عنه الانحرافات والارتدادات السياسية[2]. ويلاحظ (ميلبراث وكلاين) أن متغيرات الشخصية لا تفسر وحدها السلوك السياسي للفرد، لأن المساهمة السياسية ليست حالة خاصة ومنفصلة عن نمط المساهمة الاجتماعية العام، وعلى حد قوله ((إن عوامل الشخصية المتطلبة للمساهمة الاجتماعية العامة هي متطلبة أيضا للمساهمة السياسية، غير أن وجودها لا يولد النشاط السياسي بحكم الضرورة، ولا توجد حسب علمنا دراسة استبعدت السمة الشخصية التي تدفع الناس بصورة خاصة إلى الدخول في السياسة، بل لعل من نافلة القول إن(الدافع إلى السلطة) الذي عولج بالبحث كثيرا يجد صيغا أو بدائل عديدة للتعبير عنه[3])).

ويبدو تأثير تغيرات الشخصية على السلوك السياسي في مجالات متعددة، منها أدوار القيادة(أو الزعامة) والاستعدادات النفسية التي تقود الفرد إلى الانخراط في أشكال منحرفة من النشاط السياسي، وتبني معتقدات سياسية متطرفة، وكذلك الانفصام بين معتقدات الفرد وقيمه السياسية وبين سلوكه. وعليه فان معرفة الشخصية ذات فائدة لفهم الطريقة التي يؤدي بها الفرد الأدوار التي تعّينُ له، وكذلك في تشخيص امكاناته في حالات التقدم أو التراجع لغرض تحقيق سياسة معينة، وعلى

[*] نشر هذا البحث في مجلة العلوم السياسية، السنة الثالثة، العدد السابع، حزيران 1990، ص 86-105.

نحو مماثل فـ "إن متغيرات الشخصية تسمح لعالم النفس السياسي أن يقيس مستوى الطاقة النفسية للأفراد هذا المستوى الذي ينبئ عن قدرة الشخص على الانخراط في كل أشكال السلوك الاجتماعي بما في ذلك السلوك السياسي[4]".

إشكالية تعريف الشخصية:

إن الشخصية كما يقول (جان ستوتزل) ربما كانت الموضوع الأكثر مركزية في علم النفس بكل فروعه، بما في ذلك علم النفس الاجتماعي، غير أن دراسة الشخصية من وجهات نظر مختلفة قد حادت حقا عن معالجة بسيكولوجية الشخصية[5]، وفي الواقع أن النظرة إلى الجوانب المختلفة للشخصية جعلت الباحثين يعرضون تعاريف لا حصر لها وقد ذكر (كوردون والبورت) أكثر من خمسين تعريفا شائعا للشخصية[6]، ثم عرض هو ذاته تعريفه على النحو التالي((الشخصية هي التنظيم الدينامي للانظومات النفسية لدى الفرد التي تحكم تكيفه مع وسطه الاجتماعي[7])). والواقع أن تعدد تعريفات الشخصية والفروقات فيما بينها يتأتيان عن كون كل تعريف مرتبط بنظرية معينة حول الشخصية، وقد عرض المؤلفون في نظرياتهم الجوانب التي اعتقدوا إنها أهم من غيرها، وعليه فان اختيار التعريف هو أيضا اختيار للتوجه النظري في البحث[8]، ومع ذلك فان مشكلة التعريف بالشخصية هنا لا تقف عائقا أمام البحوث حول تأثيرات الشخصية، شأنها في ذلك شأن مشكلة التعريفات بصورة عامة في بحوث علم السياسة ومع ذلك يبدو لنا إن رأي (هاينز يولاو) في هذا الشأن جدير الاعتبار إذ يقول:((إن كل رأي سيكولوجي ذي علاقة هو مرتبط بصورة ثابتة بمدرسة سيكولوجية معينة، أو أن المدارس المختلفة تعطيه معاني مختلفة ولن تكون هناك فائدة من عرض التعاريف المختلفة للشخصية هنا أو إقرار واحد منها، وهذه ليست دعوة إلى التشويش الفكري أو الاختيار التفضيلي ولكن ذلك يعني أنه حيث إن تحليل السلوك السياسي يهتم بالفرد كوحدة اختبارية، ولكن ليس بحكم الضرورة كوحدة نظرية في التحقيق، فانه من الأفضل تجنب ربطه بنظرية معينة للشخصية والسبب هو أن مثل هذه النظرية قد لا تصلح في النهاية للمشكلة المطلوب حلها[9])). وتنطوي جميع تعاريف الشخصية على وجه الإجمال على موضوعين أساسيين هما الطبيعة الإنسانية، ثم الخصائص الذاتية للفرد والتي تميزه عن غيره وتنعكس على سلوكه، وبعبارة أخرى تؤخذ الشخصية في هذا الشأن كونها استعدادات نفسية (داخلية) منظمة ومستقرة في تكوين الفرد والتي يطرحها على مواقفه واتجاهاته في الحياة العامة، ومن ثم فان الاستعدادات الداخلية (النفسية) المذكورة توجه سلوكه، وهي التي تميزه عن غيره من الأفراد.

الشخصية كطبيعة إنسانية:

أقر منذ زمن طويل بتأثير الطبيعة الإنسانية للشخصية على المعتقدات والنشاطات السياسية بحيث لم يعد ثمة بد في الوقت الحاضر من دراسة تكوين الشخصية لغرض التعرف على تأثيراتها في تكوين السلوك السياسي، وكما يقول(هاينز يولاو): "عبر تاريخ التأمل السياسي، منذ الإغريق حتى يومنا هذا، كان هناك دائما إدراك، ولو أنه غامض أو خاطئ من حيث التفاصيل، بأن علم السياسة الذي لا يراعي الطبيعة البشرية هو علم سياسة متميز[10]"، وأول من عني بتأثير الشخصية على المعتقدات السياسية وعلى النشاط السياسي هو أفلاطون الذي عني بتطوير نمو الشخصية لغرض دعم نظام الحكم القائم. ويعد (هارولد لاسول) من أكثر علماء السياسة الذين عنوا بالموضوع المذكور في العصر الحديث وبخاصة في كتابيه(علم الأمراض النفسية والسياسية[11]) و(السلطة والشخصية[12])، فقد عرض فيهما أن السلوك السياسي ينجم عن استعدادات نفسية مسبقة لدى الفرد تنعكس على مواقفه واتجاهاته إزاء القضايا العامة في المجتمع. ومع ذلك كما تقول(جين كنونسون) فـ:((إن جميع السنوات التي أعقبت ظهور كتابات (لاسول) المبكر، واجهة الادعاء بان الشخصية تتحكم جزئيا على الأقل، في المعتقدات السياسية وفي السلوك السياسي تحليلا نقديا غير ملائم[13])) وتضيف على ذلك قولها ((إن قولنا هذا يجب ألا يؤخذ على محمل كونه ينطوي على معنى أنه لا توجد علاقة بين ما هو نفسي وما هو سياسي بل على العكس قامت دراسات عديدة حول اتجاهات سياسية وكذلك معتقدات وسلوك سياسي متوقع بني على أساس متغيرات الشخصية، وعلى أي حال فإن هذه الدراسات قد فشلت على الصعيد النظري وعلى الصعيد التجريبي في دعم ما عرضه (لاسول) من قبل. وبصورة عامة لقد تجنبت الدراسات المذكورة القيام بالمهمة الصعبة، ألا وهي تفسير الروابط الخاصة التي تؤثر الشخصية بها على السلوك السياسي وتتأثر هي بالمقابل بالسلوك السياسي، وتجريبيا، لقد فشلت هذه الدراسات بصورة عامة في بداية استقرار الشخصية أو تماسكها عبر الوقت، أو علاقتها بالأمور السياسية[14].

ولا ريب في أن دراسة الشخصية تبين كيفية تأثير شخصية الفرد على سلوكه السياسي، غير أن دراسة الشخصية ليست يسيرة، لأن الشخصية تركيب معقد، وهي ذات علاقات متشابكة تكون بمجموعها أنظومة خاصة من العواطف والآمال والاحباطات وخزينا من التجارب الماضية، فضلا عن طاقات غزيرة استنفذ بعضها أغراضه في الواقع ولم يستنفذ بعضها الآخر أغراضه وظل ينطوي على شحنات انفعالية تنعكس على أفعال وردود أفعال الفرد، ومن ثم يتعين على عالم النفس أن يكون ذا دراية وخبرة ومستوى علمي عال عندما يعالج التأثيرات النفسية على السلوك السياسي، كما أنه مطالب أيضا بألا يقتصر على دراسة حالة فردية منعزلة وإنما يجري دراساته على حالات عديدة لكي يستنبط القواعد العامة التي تتحكم في السلوك السياسي، وفضلا عن هذه الصعوبات فإن

ما تنطوي عليه الشخصية من حيوية واندفاع يجعل من الصعوبة إخضاعها إلى دراسات دقيقة ومعرفة، وكما يقول(ليستر وميلبريك):((إن دينامية الشخصية التي تدفع إلى العمل السياسي هي من التعقيد بحيث تتحدى أي إيجاز[15])).

قد يختلف الناس فيما بينهم من نواح عديدة ولكن هنالك عناصر مشتركة ومتماثلة في تكوينهم هي التي تكون منهم بشرا، و ((بوسعنا أن نسمي هذا الحد الأدنى من التماثل بـ (التركيب الكوني للشخصية) أو الطبيعية الإنسانية[16]))، وينطوي هذا (التركيب الكوني) على نوعين من العناصر، هما العناصر الحياتية(البيولوجية) المشتركة، وعناصر السمات الطبيعية والسلوكية المقبولة على أساس أنها سوية ومرغوب فيها لدى جميع المجتمعات الإنسانية، والتي تشتمل على الحاجة إلى المعرفة، والفهم وإدارة البيئة، والحاجة إلى تقييم الذات من قبل الفرد نفسه وكذلك من قبل الآخرين، وقدرة عالية على التعلم، وتفكير رمزي بمستوى رفيع[17]. وقد عني علماء السياسة في جميع الحقب الماضية بدراسة ميول الإنسان لغرضين الأول هو غرض التحكم بالطبيعة والسيطرة عليها، الأمر الذي يؤدي إلى البحث في موضوع السلطة، أما الغرض الثاني فهو السعي لإشباع حاجات الإنسان وميوله بالطرق المعتادة. ويميل الناس، بغض النظر عن دوافعهم ونوازعهم الشخصية، إلى التصرف بطريقة منتظمة، ويمكن التنبؤ بها في السياسة وفي خارجها وترقباتهم بالنسبة إلى سلوكهم وسلوك الآخرين مستقرة ومتوافقة نسبيا. وقد يكون بعضهم حي الضمير أكثر من غيره في عمله، وأكثر حماسا واندفاعا لإرضاء غيره ثم أكثر طموحا، ولكن رغم وجود هذه الاختلافات الناجمة عن التباينات الشخصية، فان العمليات السياسية والمؤسسات تعمل بطرق لا علاقة لها بالاختلافات في الشخصية[18]. إن الجماعات الاجتماعية تبذل جهودا متواصلة لأجل تحقيق نوع من التجانس بين أعضائها، وذلك عن طريق رفع بمستوى الشعور بالانتماء ومن ثم التمسك بأهدافها، أي إنها تسعى إلى غرس قيم مشتركة تبعث إلى الوجود باتجاهات وسلوكيات متقاربة إن لم تكن متماثلة، وفي الواقع أن الهدف والتجربة المشتركة يمكن لهما أن يفرزا أنماطا متماثلة من التفكير والسلوك لدى أفراد الجماعة الاجتماعية، وتكتسب الجماعة بمرور الوقت طابعا جمعيا مشتركا بين أعضائها يميزها عن غيرها من الجماعات الأخرى، وعن هذا الطابع الجمعي المشترك ينحدر مفهوم(الدور) الذي هو ((وضع اجتماعي يفرض التزامات سلوكية والتزامات في الاتجاه بخاصته[19])).

الشخصية والطابع الجمعي المشترك:

وعلى مستوى اقل من الطابع الإنساني تطرح الشخصية نفسها على مستولى الطابع الاجتماعي إذ أن الإفراد الأعضاء في جماعة اجتماعية معينة هم متماثلون بطرق عديدة، وتميزهم هذه الطرق عن الأفراد الآخرين غير الأعضاء والجماعة هنا مأخوذة بمفهوم واسع جدا، إذ تعني أية هيأة جماعية مكونة من عدد من الأفراد الذين يعيشون في ظل ظروف متماثلة ويتفاعلون فيما بينهم لغرض تحقيق أهداف مشتركة، وذلك كالأمة أو المجتمع الوطني، أو الطبقة، أو المهنة.

الشخصية كسمات فردية:

إن الاستعدادات النفسية ليست متماثلة ولا بدرجة متساوية لدى جميع الأفراد، فالنزعة السلطوية والتطبع الاجتماعي وحب السيطرة، وقوة ألأنا، والإحساس بالفعالية وغيرها من العوامل تؤدي إلى التباين في السلوك السياسي بين الأفراد[20]. فقد يكون المركز نفسه، كرئاسة الدولة مثلا، غير أن الذين يتناوبون على إشغاله يعرضون أنماطا متنوعة من السلوك السياسي، وينطبق ذلك على القادة كما ينطبق أيضا على الأفراد الآخرين، وتذكر(مادلين كراوتيز) بهذا الصدد ((إن قوة الحاجات الأساسية تتنوع حسب طبيعة تكوين الأفراد، وقد عني علماء النفس بموازنتها ومن أكثر ما عنوا به مظاهرها وطرق إشباعها، وقد درسوا بخاصة الشخصية من وجهة نظر وضعية وتحليلية ما يتعلق منها بالبنية والسمات (Les Traits)، والحاجات، دون أن يعالجوا مظاهرها الحيوية، أي ردود الفعل والآراء والاتجاهات، وأولئك الذين جازفوا بدراسة ذلك اقتصروا على الترابطات القائمة بين اتجاهات الشخصية وبين سماتها وذلك بواسطة إجراء اختبارات على حالات_السيطرة والانفتاح على الخارج وغيرها[21])). ويفضل بعض علماء النفس دراسة سمات الشخصية بدلا من الشخصية ذاتها وذلك لأن الشخصية شمولية ومن ثم فهي غير قابلة للقياس بكليتها ولايمكن أن تدرك بصورة مباشرة وإنما عبر مظاهرها فقط.

ولكن ما هي الشخصية؟

يعرف (كوبلفورد) السمات بأنها تلك الطريقة المتميزة، والثابتة نسبيا، والتي يختلف بها الفرد عن الآخرين، وتبذل من وجهة نظر السلوك السياسي عناية خاصة بالسمات المشتركة بدرجات متباينة لدى مجموعة واسعة من السكان[22]. وتعرفها (مدلين كراويتز) بأنها استعدادات تراتبية، وحيوية، وقابلة للتغيير، والتي يمكن قياس قوتها باتجاه معين[23]. ويرى فريق من علماء النفس أن سمات الشخصية هي التي تدفع الأفراد إلى تبني اتجاهات معينة إزاء القضايا التي تطرح عليهم في الحياة العامة كالاتجاهات اليسارية أو الاتجاهات المحافظة.

سمات الشخصية التي تؤثر في السلوك السياسي:

أمكن لعلماء النفس عبر دراسات عديدة تعيين عدد من سمات الشخصية التي لها علاقة بنشاط الفرد السياسي، ومن أبرز هذه السمات مايلي:

أ- الفعالية أو الأهلية:

تناولت بحوث عديدة موضوع الفعالية السياسية لدى الأفراد، وأمكن الإقرار بوجود علاقة بين الشعور الداخلي بالقوة لدى الفرد وبين درجة النشاط السياسي الذي يقوم به[24]، في حين قامت دراسات اخرى بالربط بين نوع من الفعالية وبين الأهلية النفسية التي يمتلكها الفرد[25].

ب- النزعة السلطوية:

وربطت بعض الدراسات بين النشاط السياسي وبين النزعة السلطوية، غير أن مسألة مساهمة النزعة السلطوية على مستوى النشاط السياسي ما زالت موضع خلاف بين الباحثين ويعود هذا الخلاف إلى حد كبير إلى أن النزعة السلطوية متكونة من عوامل داخلية في تكوين الفرد النفسي وكذلك من عوامل اجتماعية وسكانية[26]، وإذا كان واضحا أن هناك استعدادات مسبقة للنزعة السلطوية، فان الاختلافات حول تأثيرها على مستوى النشاط السياسي لم تحظ بدراسة ملائمة حتى الوقت الحاضر[27].

ج- التغرب والاستلاب:

وموضوع التغرب والاستلاب(Ano Mie and Alienation) هو ميدان آخر ثبت فيه أن سمة الشخصية ذات فائدة في فهم النشاط السياسي والتنبؤ به[28]، إذا أمكن بلورة وصياغة المفهوم عن ذلك وقياسه بطرق مختلفة، بما في ذلك معنى الشعور بالعجز، أو السيطرة الداخلية-الخارجية، والشعور باليأس أو باللاجدوى، وذلك بمعنى انهيار شعور الفرد بارتباطه بالمجتمع، أو أنماط اخرى أكثر تركيزا من الاستلاب. ويعود الشعور باللاجدوى إلى الافتقار إلى المعرفة السياسية، والى المعرفة في مجالات نوعية خاصة والتي ليس للفرد معلومات ذات قيمة عنها وما هو مهم في هذا الشأن هو أن الشعور باللاجدوى يمكن أن يفصل بصورة واضحة عن الشعور بالاستلاب إزاء العمل وفقا للمفهوم الماركسي، وقد نسب الشعور باللاجدوى (كما عرض بمقابل الأنماط الأخرى من الاستلاب) إلى الافتقار إلى الانخراط في النشاط الاجتماعي والسياسي، لكن حيث إن هذا البعد من الشخصية قد ربط بصورة متكررة بالمراكز الاجتماعية – الاقتصادية الدنية، وحيث إنه لم يكن متميزا من ناحية مفهومه في مجال الجذور النفسية والمجتمعة فان معناه وفقا للدراسات حول الشخصية يتطلب قدرا كبيرا من التحفظ[29].

د-حب السلطة:

وتوجد في هذا الميدان دراسات نظرية عديدة ظهرت بعد كتاب (هارولد ولاسول)، (علم الأمراض النفسية والسياسية) الصادر في عام 1930، حول أهمية النشاط السياسي كتعويض عن الحاجة غير المشبعة إلى تقدير الذات وهذا البعد من الشخصية مهم جدا في تفسير مستويات النشاط السياسي.

هـ- الجمود العقائدي:

وهذه السمة من سمات الشخصية، والتي تؤثر على نوعية السلوك السياسي للشخص، تتعلق من الناحية النظرية ببنية النظام العقائدي للشخص(وذلك بمقابل المضمون)، وترد في هذا المجال الدراسة المهمة التي قدمها (روكيبج)[30] وعرض فيها أنه يمكن تصنيف الأشخاص وفقا لقطبين هما ذوو التفكير المغلق (Closed-Mindedness) وذوو التفكير المنفتح (Open-Mindedness) وما بينهما، فان الأفراد الذين يقفون في نهاية قطب ذوي التفكير المغلق يختلفون بطرق سياسية مهمة وعديدة عن أولئك الذين يقفون في نهاية قطب ذوي التفكير المنفتح وذلك للأسباب التالية:

- إن ذوي التفكير المغلق يتميزون بالقلق ويعانون من صعوبة استيعابهم المعلومات الجديدة وتبعا لذلك فإنهم قد ينبذون المعلومات بكليتها إذا كانت لا تنسجم مع معتقداتهم، أو أنهم يحرّفونها لكي يستطيعوا أن يتقبلوها، أو قد يتقبلوا المعلومات الجديدة إذا جاءت من سلطة عليا ولكن دون أن يؤمنوا بها، ولذا كان المطلوب تغيير المعتقدات تغييرا كبيرا وبناء على ايعازات صادرة من سلطة عليا قوية، فان هؤلاء الأشخاص ينتقصون من قيمة السلطة[31].
- إن المعلومات الجديدة عندما تعجب ذوي التفكير المغلق قد يتحركون أو يقبعون في أماكنهم وبدون إجراء تحليل، أما إذا عرضت مشاكل تنطوي على عوامل جديدة ومتصارعة فان حلها يقتضيهم وقتا طويلا بسبب حاجتهم إلى التحليل قبل استيعابهم المعلومات أو نبذهم إياها[32].
- إن حل المشكلة يجري لدى ذوي التفكير المغلق بلطف أكثر عندما تعرض عليهم معتقدات جديدة بصورة تدريجية، وذلك بسبب ميلهم إلى التقبل السهل وبدون الاستيعاب للمعلومات[33].

ولا يقتصر الجمود العقائدي على الأفراد العاديين فقط، إذ قد يوجد أيضا في تكوين بعض القادة، ويتبين ذلك من خلال موقف هؤلاء عند التعامل مع المعلومات الجديدة التي تتعارض مع الأهداف السياسية التي يعلنون عنها، إذ أن هذا النوع من القادة لا يتقبل المعلومات الجديدة ويسعى إلى استيعابها من خلال قنوات المعلومات التي تصب في مركز صنع القرار الذي يتبوأه، سواء

أكانت هذه المعلومات تقدم إليه بشكل مكتوب أو بشكل آراء أو استشارات لا يستسيغها لأنها تختلف مع وجهة نظره. وقد أبان عن هذه الظاهرة (اوادبخر) في دراسته التفصيلية عن (كورت شوماخر) زعيم الحزب الديمقراطي الاجتماعي الألماني[34]، وتتجسد هذه الظاهرة أيضا في حالة الرئيس(وودرو ويلسن) الذي كان يرفض استخدام قنوات المعلومات المتيسرة لديه، ولم يكن يصغي إلى الآراء التي تتعارض مع وجهة نظره[35]، وتلاحظ هذه الظاهرة أيضا على هيأة أركان (هتلر) الذين كانوا يتجنبون نقل الأخبار السيئة إليه أو المعلومات التي تتعارض مع معتقداته خوفا من أن ينفجر غضبه وثورته ولوحظت الظاهرة نفسها على نحو اقل من ذلك على المحيطين بالرئيس(ريتشارد نيكسون).

وعلى الرغم من تعدد الدراسات حول الترابط بين الاتجاهات السياسية وبين سمات الشخصية، فان هذه الدراسات ما زالت تفتقر إلى الكثير من العمق والتأصيل، لان الاتجاه وعلى الرغم من تماثله لدى عدد كبير من الأفراد فانه قد يشجع حاجات مختلفة لديهم[36]، فالاتجاهات اليسارية بصورة عامة قد تكون ناجمة عن الشعور بعدم الاكتفاء أو الحرمان من أشياء كثيرة في المجتمع، غير أن ذلك وحده لا يكفي لتفسير تبني الاتجاه لدى جميع الأفراد، إذ توجد عوامل اخرى قد تكون معنوية أو شخصية ولذلك فإذا أريد تأثير تكوين الشخصية على النشاط السياسي فيجب أن تؤخذ جميع العوامل الفردية وضمن إطار اجتماعي معين وفي زمن تاريخي معين أيضا. وتقول (مادلين كراويتز) في هذا الصدد ((لقد استعاد علماء النفس الاجتماعي بدورهم الصلة المذكورة لغرض مراقبة تطور مجموعة المعطيات الفردية هذه التي تكون الشخصية التي هي بمجموعها دينامية، وحية، فهي إذا متفاعلة بوجه عالم خارجي لأجل أن تدركه، وتفسره، وتتكيف معه، أو تعارضه واحتمال أن تغيره، وتبعد الشخصية عن نفسها بالأعمال والمعتقدات، والأحكام، والاتجاهات، وحيث إن الشخصية مشروطة جزئيا بعوامل بيئتها فإنها بدورها تغير البيئة، ولكي تحافظ على وجودها فإنها تعبر عن مقتضياتها، وذلك بانتقائها ما يلائمها لإشباع حاجاتها والمحافظة على توازنها ووحدتها[37]))، ومن هذه الناحية تأتي أهمية الاتجاهات.

الاتجاهات:

يمكن تعريف الاتجاه بكونه الاستعداد للاستجابة على نحو معين إلى أوضاع أو دوافع متماثلة، فهو إذا ليس مظهرا منعزلا ودقيقا لدى الشخصية وانما هو رد فعل قابل لأن يتكرر. وينطوي الاتجاه على تطبيقين، هما السلوك الذي يعبر عنه بنشاطات سلوكية، والطبائع التي تعني اتخاذ موقف إزاء موضوع ما، وبخلاف الشخصية التي توجد بحد ذاتها، يتكون الاتجاه عبر التجربة وإزاء موضوع معين هو على وجه العموم المؤسسة أو القيمة أو الرأي[38]. ويميز (ايزنك) بين الآراء

العارضة التي قلما تعبر عن شخصية الفرد وبين الآراء المستقرة التي هي أعمق في تكوين الشخصية، وعبر عن مجموعة من الآراء المستقرة التي تكّون الاتجاه، وعندما تتواجد عدة اتجاهات بصورة مترابطة فيما بينها، عندئذ يكون بوسعنا الحديث عن نمط (Type) كالشخصية السلطوية[39].

الوظائف الرئيسية للاتجاهات:

لقد أهملت الدراسات الأولى البحث في منشأ الاتجاهات، مع أن كشف الأغراض التي تشبعها الاتجاهات هو في الوقت نفسه كشف لسبب ظهورها أو بقائها، وبدلا من مجرد ذكر الصلة بين الاتجاه وبين سمة الشخصية نجد إذا علاقة بين الحاجة وبين الاتجاه الذي يشبعها وعلى وجه الإجمال إن الوظائف الرئيسية للاتجاهات هي التالية[40]:

أ- التكيف: وهو وسيلة تستخدم للاستجابة إزاء موقف معين إذ أن للفرد ميلا لتكرار ما ينجح فيه.

ب- الدفاع: وهو آلية للحماية ضد تهديد خارجي أو صراع داخلي واع أو غير واع.

ج- التعبير: وهو وسيلة للاستظهار وإعطاء الفرد صورة عن ذاته ولكي يتطابق أو يتعارض مع الآخرين ولممارسة النفوذ.

د- التميز طبائعيا: ووفقا لذلك يسمح الاتجاه بتكوين إطار تضعف فيه بسرعة المعلومات والتجارب الجديدة، هذا فضلا عن أنه يقوم بأداء وظيفة الاحاطة والتدبير.

جوانب الاتجاهات التي يعنى بها علم النفس السياسي:

يعنى علم النفس السياسي بالجوانب التالية من الاتجاهات[41]:

أ- التماسك.

ب- التعبير مع الاتجاهات الأخرى.

ج- درجة المعلومات في تكوين الاتجاهات والأسباب التي تقوم عليها.

د- مدى الاتجاهات.

هـ- نوعية الاتجاهات.

و- تعميم الاتجاه.

ز- صلابة أو درجة بقاء الاتجاه.

ح- الاتجاه الايجابي أو السلبي، وبخاصة شدته التي تغطي في أغلب الأحيان المزايا الأخرى، والشدة وحدها لا تسمح بالتنبؤ ببقاء الاتجاه، وعنصر المدة هذا مع مقاومة التغيير يرتبطان بسمة للشخصية هي الصلابة(Hiaidite)، التي غالبا ما ترتبط بخصائص أخرى نجدها في الجمود العقائدي (الدوغمائية)، وفي مقاومة الغموض – Resis Tance a Lamliguite. وعلى وجه

الإجمال نلاحظ على(نظرية السمات الشخصية) أنها تنطوي على مؤشرات جزئية عديدة بحيث بلغ عدد السمات الشخصية التي يتضمنها أحد القواميس الإنكليزية (18ألف) سمة، وقد اختصرها (كاتل) فيما بعد إلى (4504) سمة ثم إلى (171) سمة استخلص منها طريقة تحليل العوامل Analyse Factorielle القائمة على خمسة عوامل فقط[42]. ويعيب أنصار نظرية السمات الشخصية على خصومهم أنهم يروجون فرضيات لا يمكن التحقق من صحتها. وفضلا عن ذلك أن فهم الشخصية بتحليلها يسمح بلا ريب بالتنبوء على أحسن وجه بسلوك المرء موضوع الدراسة ويتلاءم مع الحالات الخاصة، مع الدراسات التجريبية، ومن هنا جاء تطورها[43].

موقف علماء السياسة من موضوع الشخصية:

والواقع أن الخلاف ما زال قائما حتى الآن بين وجهة النظر التي يناصرها كثير من علماء النفس وعلماء الطب العقلي والقائلة إن الشخصية هي خاصية مستقرة وثابتة، ومن ثم فإنها تصوغ معتقدات الفرد ونشاطاته السياسية[44]، وبين وجهة النظر التي يؤيدها علماء السياسة والقائلة إن الشخصية لا تنفصل عن سلوك الفرد. وقد رأى (غابرييل الموند) أن هنالك فرقا بين التنشئة الاجتماعية الظاهرية والتنشئة الاجتماعية المستترة، فالتنشئة الاجتماعية الظاهرية تتخذ شكل نقل مباشر للمعلومات، والقيم، والمشاعر إزاء الأدوار التي ترسم للفرد في المجتمع وعلاقتها بالنظام السياسي القائم، أما التنشئة الاجتماعية المستترة فتبدأ عند (الموند) مع بدء حياة الفرد وتتخذ شكل نقل غير مباشر للمعلومات، والقيم، والمشاعر إزاء الأدوار المماثلة ومداخل ومخارج النظام السياسي[45]، ومن ثم فان العوامل الشخصية كشعور الفرد بذاته، وحاجاته غير المشبعة، وشعوره بالأهلية، أو قوة ألأنا لديه تؤثر على طريقة استجابته المستترة. ونجد نفس التوجه أيضا لدى (هاينز يولاو) الذي يؤكد على تأثير الوسط الاجتماعي والثقافي في سلوك الفرد إذ يقول:((إن تحليل السلوك السياسي يجب أن يكون هناك مجال للنظر إليه على أساس شخصي، وحتى لو لم يكن المرء يعرف شيئا عن شخصية إنسان ما، فان قسطا كبيرا من السلوك السياسي لذلك الإنسان يمكن تفسيره بصورة مرضية من حيث معانيه الاجتماعية أو الثقافية[46]،) ويضيف على ذلك قوله:((إذا تحدثنا عن تأثير الشخصية في السلوك السياسي، فإننا نفترض بأننا مهتمون بالعلاقة بين شيئين مختلفين وليست هذه الصيغة صيغة مقبولة تماما، فالشخصية، كالثقافة، متنوعة من صميم السلوك، وليست شيئا مستقلا عن السلوك، وهي ليست منفتحة مباشرة للمراقبة الاختبارية، بل منتزعة ومكونة من نماذج السلوك والمشاعر الماضية والحاضرة التي غايتها التوضيح والتفسير[47])). وعلى نحو أوضح يذهب (ليو مولان) إلى أن الشخصية هي نتاج المجتمع ومشروطة بالظروف السائدة فيه سلبا أو إيجابا، وعلى حد قوله:((... لن توجد الشخصية، ولن تكون هي ذاتها حقا إلا بفضل الوسط

الاجتماعي الذي يؤّمن وجودها التام المتفتح أم المتمزق، تماما كما هو الحال مع بذرة الحنطة التي لها كل القوة على الحياة ولكنها بدون الماء والأرض والنور، أي بدون الوسط الحياتي(البيولوجي)، لا يمكنها أن تنبت وتتطور وتعطي نتاجا، بل أن تأثير الوسط الاجتماعي يتم حتى قبل ولادة الطفل وذلك عن طريق اختيار الزوج زوجته، فضلا عن ذلك إن عمليات المثاقفة والتنشئة الاجتماعية السياسية لها من التأثير ما يفوق تأثير عوامل الوراثة المتأصلة[48])).

ولا يقتصر الخلاف على ما تقدم فقط، إذ هناك أيضا اختلاف في طريقة عالم النفس عن عالم السياسة في دراسة الشخصية وعلاقتها بالسلوك السياسي، فعالم النفس عندما يدرس الشخصية يتساءل قبل كل شئ ما هي الفائدة التي يجنيها الإنسان من سلوكه السياسي؟ وبعبارة اخرى أن عالم النفس يعالج الشخصية كونها هدف البحث وقد يثير اهتمام عالم النفس السلوك السياسي للمرء ولكن يبقى محور بحثه هو شخصية الإنسان وليس سلوكه السياسي واعتمادا على نظرية العالم الفرنسي، فإن السلوك السياسي للإنسان سياسيا يرضي حاجاته الشخصية وطلباته ودوافعه، أو أنه يخفف مؤثراته، وفشله، أو يعوض شعوره بالحرمان، أو يكشف مدركاته الحسية الخاصة وقيمه[49]، ويستخلص (هاينز يولاو) من ذلك إن:((هذه الطريقة في النظرة إلى السلوك السياسي يمكن أن تخبرنا الشئ الكثير عن نوعية المشاركة السياسية، ومقدار الافضليات السياسية، أو اتجاه الفرد نحو العمل السياسي، ولكن إعراب الشخصية عن نفسها في الحلبة السياسية هو ذو أهمية طارئة فقط للعالم النفسي[50]، لان العالم النفسي عندما يدرس السلوك السياسي للإنسان لا يركز اهتمامه على ذلك السلوك إلا بقدر ما يفيده في دراسة بؤرة اهتمامه الذي هو الشخصية. ومن ثم فانه يدرس للغرض نفسه سلوك الإنسان في الميادين المختلفة، الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها، لكي يتعرف على الفوائد التي يسعى إليها الفرد من وراء نشاطاته المذكورة، وتتحكم في هذا السلوك حاجات الفرد، ودوافعه، وميوله، أو مخاوفه وآماله، وينطبق ذلك أيضا على السلوك السياسي. ولكن عالم السياسة يتبع طريقة مختلفة في معالجة تأثير الشخصية على السلوك السياسي، ((فهو لا يسأل عن نتائج السلوك السياسي على شخصية الإنسان، بل يريد أن يعرف نتائج الاختلافات في الشخصية على وظيفة الأدوار السياسية وعمل المؤسسات السياسية، إن المعاني الشخصية والدوافع الواعية وغير الواعية التي تبرز مشاركة الإنسان السياسية أو تفضيلاته السياسية هي ذات فائدة تحليلية، لان اكتشافها قد يساهم في تفسير النظام السياسي كنظام مسلكي، ولا بد من التذكير بان هذا النظام هو دائما شبكة سلوك بين الأشخاص ويستطيع تحليل الأساس الشخصي للسلوك السياسي أن ينبئنا قبل كل شئ، كيف يربط سياسي معين نفسه بالآخرين كما يفعل[51])). وبعبارة أخرى إن اهتمام عالم السياسة ينصب وقبل كل شيء على العملية السياسية في جميع مستوياتها،

أي على النظام السياسي على صعيد المؤسسات وصعيد الأنشطة السياسية فيه. ولذلك فان ما يتحصل من معلومات عبر دراسة السلوك السياسي للأفراد ينبغي أن ينصب على اغناء دراسة النظام السياسي وسير عمله ويوضح (هاينز يولاو) ذلك بقوله:((انه إذا تبين إن النشاط السياسي يخدم شخصا في التغلب على تقديره المنخفض لنفسه، أي يخدمه في إزالة الشعور بالعزلة والوحدة عن طريق المشاركة الشخصية، وان التفضيلات السياسية هي تعبير عن الثورة على السلطة أو الخضوع لها. فقد تكون المعلومات في هذه الحالة ذات قيمة لا تقدر في تقييم نوعية وبقاء أي نظام سياسي، وعلى وجه الإجمال قد توضح معرفة الأساس الشخصي للسلوك السياسي نوع نظام سياسي، ومدى تكيفه مع ظروف البيئة، ومقدرته على تلبية الحاجات البشرية[52])).

ملاحظات

1- إن الشخصية مهمة لدراسة السلوك السياسي، ولكن يجب ألا يخلط بين الشخصية وبين علم الأمراض النفسية (PathoLgy) لان ذلك يؤدي إلى نتائج وخيمة في البحث فمع أن بعض الأمراض النفسية والعصبية-كالعصاب(Neuroses) والذهان(Psychosse) وما هو على شاكلتها قد تعرض في السلوك السياسي، إلا أن هذه الحالات قد لا تكون متواترة الحدوث، إن ماهو مهم في هذا الصدد هو إن الناس الأسوياء شأنهم في ذلك كغير الأسوياء يمتلكون شخصيات، وأن كل فرد سواء كان سويا أم لا يطور لنفسه طريقة معينة في النظر إلى الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، وإيجاد الوسائل الملائمة لمعالجته، وتختلف طرق الاستجابة هذه باختلاف الناس ولذلك يجب أن نتذكر دائما إن الاختلافات بين الناس حسب تكوينهم الشخصي قد تنعكس بشكل اختلافات في السلوك السياسي.

2- إن معرفة البواعث لرأي الفرد أو الأفراد لا تلقي ضوءا، مهما كان نوعه، على صحة هذا الرأي، فقد يكون لشخصين رأي واحد أو يقومان بعمل واحد، ولكن لأسباب مختلفة، فعلم النفس السياسي يعالج الأسباب الشخصية وليس الآراء أو الأعمال ذاتها.

3- وأخيرا، حيث إن دراسة الشخصية ما زالت في بدايتها ولاسيما فيما يتعلق بالحياة السياسية والاجتماعية، فمن الضروري إذا أن نقر بأنه ما زال هنالك الكثير الذي يجب أن نتعلمه عن كيفية تشخيص مختلف الخصائص الذاتية.

الهوامش

(1) Leroy N. Riese Lbach and George I. Balch; Psychology and Politics, an introduction Reader Holt, Rine hart and Winston, 1969, P.10.
(2) Leo Moulin; Les Socialisations, Editions J, Duculot, Belgique, 1975, P.10.

(3) L.W. Milbraith and W. W. Klein; Personality correlates of Political Participation, Act sociologica, 1962, No, 6, PP.53-66; quoted by Jeanne Knutson, Hnutson, Handbook of political, psychology; jossey-Bass publishers, San Franciscd, 1973, P.45.
(4) Jeanne N, Knutson, op.cit, P.45.
(5) Jean stotzel; La Psychologie sociale, Paris, Flammarion, 1972, P.163.
(6)Gordon W. All port; Personality, A Psychological interpretation, New York, Holt, 1937,PP.24-54.
(7) Gordon W. All port; Op.cit, P.48,cit par jeen stoetzel, op.cit, P164 et par Jeanne N. Knutson; op.cit, p.29.
(8) Reiselbach and Balch, op.cit, P.11.
(9) هاينز يولاو، فن السلوك السياسي، ترجمة لجنة من الأساتذة الجامعيين، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة [د.ت]، ص94.
(10) نفس المصدر، ص88.
(11) Harold D. Lasswell; Psychop Tuiogy and politics, Chicago, university of Chicago press, 1930.
(12) Harold D. Lasswell; power and personality, New York, Vicking, 1948.
(13) Jeanne. N. Knutson, op.cit,P.39.
(14) Ibid. P. 39.
(15) Lester. W. Milbraik, political participation as a function of personal factors. P.158.
(16) Leroy. N; Rieselbach and geeorge i. Bloch, op.cit, p.12.
(17) Ibid. P. 12.
(18) هاينز يولاو، المصدر السابق، ص91.
(19) Reiselbach and Balch, op.cit, P.12.
(20) Ibid. P. 13.
(21) politique par. M; grawitz et Leca, paris, P.U.F. vol.3, p.21.
(22) J.P. guilfored; Personality, New York, 1959, P.5-6; quoted by Michael Rash and phillip Althoff, An Introduction to political sociology, London, Nelson, 2972, P.26.
(23) M.grawitz, op.cit. p.22.
(24) انظر في هذا الشأن الدراسات التالية:
Heinz Eulau and p. Schneider; Dimensions of political involvement, in: public opinion Quarterly, 1956, No.20, P.128-142; M.janovitch and D. Marvick, Authoritarianism and political Behavior, in: Public opinion Quarterly,1953, No.17, P.185-201.
(25) M. B.Smith; Competence and socialization, in: J. clause(ed); socialization and society Boston, Little, Brown, 1968.
(26) للتفصيل انظر:
F.I. Greenstein; Personality and Politics, Chicago, Markham, 1969.
(27) Jeanne. N. Knutson, op.cit, P.46.

(28) J.Milton Yinger; Anomie, Alienation and political Behavior, in: Jeanne .N. Knutson, op.cit, P.171-201.
(29) Jeanne. N. Knutson, op.cit, P.46.
(30) M.Rokeach; The open and close Mind, Investigations into the nature of Belief systems and personality systems, New York, Basic books, 1960.
(31) Jeanne. N. Knutson, op.cit, P.47.
(32) M.Rokeach, op.cit, P.240; guoted by Jeanne.N. Knutson, op.cit, P.47-48.
(33) M.Rokeach, op.cit, P.228; guoted by Jeanne.N. Knutson, op.cit, P. 48.
(34) L.J. Edinger; Kurt Schumacher, Astudy in personality and political Behavior, Stanford, lalif, Stanford university press,1965.
(35) A.L.george and J.L. George; Woodrow Wilson and Colonel House, Apersonality study. New York, Dover, 1956; I.L. Janis; Disisi onal Conflicts, Atheoretical Analysis, journal of Conflict Resolution, 1959, No.3,PP.6-27.
(36) M.B.Smith, d.s.Bruner, R.W.white; Opinion and personality, Wiley and sons 1956.
(37)Madeleine grawitz,op.cit.P.22.
(38) Ibid. P. 22.
(39) H.J.Eysench, The psychology of politics London, Routledge and kegan paul 1954; op.cit, par M. grawitz, op.cit. p.22.
(40) M. grawitz, op.cit. p.22.
(41) Ibid. P. 22.
(42) R.B. Cattell,La personalite Traduit, Paris, P.U.F.1950.
(43) M. grawitz, op.cit. p.23.
(44) F.I. Greenstein; Personality and politics chicago, Markham, 1969, Greenstein and M.Lerner; Asource Book for the study of personality and politics; Jeanne N.Knutson; The Human Basis of the polity, A psychological stady of political men; Chicago, Aldine-Atherton,1972; L.W. Milbraith; political participation, How and why do people get involved in politics? Chicago, Rand Mc Nally, 1956; Gabriel Almond and sydey verba; The civic calture Boston, Little, Brown, 1965; J.D. Barber; The presidential character, predicting performance in the white house, Englewood cliffs, N.D.prentice-Hall,1972.
(45 Gabriel A. Almond. Introduction, A Functional approach to comparative politics, I Gabriel Almond and J. colman(eds); the politics of the developing areas Princeton university press, 1960, p.28.

(46) هاينز يولاو، المصدر السابق، ص88.

(47) نفس المصدر، ص89.

(48) Leo Moulin, op.cit, p.150.

(49) هاينز يولاو، المصدر السابق، ص89.

(50) نفس المصدر، ص90.

(51) نفس المصدر، ص90.

(52) نفس المصدر، ص91.